مجلة جامعة الملك سعود، ١٨، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (١)، ص ص ٣٦٣- ٤١٠ (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)

استدراكات ابن كثير في تفسير سورة البقرة على ابن جرير الطبري

صالح ناصر سليمان الناصر

أستاذ مساعد، قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ١٤٢٥/٢/٢٠هـ، وقبل للنشر في ١٤٢٥/٤/٢٥هـ)

ملخص البحث. هذا البحث الذي سميته : بـ « استدراكات ابن كثير في تفسير سورة البقرة على ابن جرير الطبري» يتعرض للأقوال التي استدركها ابن كثير على ابن جرير في تفسيره لبعض الآيات في سورة البقرة، فقد استفاد ابن كثير من ابن جرير كثيراً في مجال التفسير، إلا أن هذا لا يعني أنه وافقه في كل شيء، فقد استدرك عليه بعض الأقوال كما بينت ذلك في هذا البحث.

وتضمن هذا البحث أيضاً بيان أن أغلب تعقبات ابن كثير لابن جرير هي تعقبات صحيحة، وفي بعض الأحيان يكون الحق فيها مع ابن جرير وقد يُستدرك عليهما وذلك نادر جداً.

وأخيراً فقد وضحت في نهاية بحث كل مسألة ما ترجح لي فيها قدر الإمكان . والله أعلم.

المقدمـــــــة

لقد عُني الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه التفسير بالرجوع إلى عدد من كتب التفسير وغيرها، منها تفسير ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبغوي، والكشاف للزمخشري، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، وكتب الصحاح والسنن، وكتب الفقه،

والسير، واللغة وغيرها كثير وأهم كتاب في التفسير أفاد منه الحافظ ابن كثير ورجع إليه، هو تفسير الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري، رحمه الله تعالى، المعروف بـ (جامع البيان في تفسير القرآن) فقد تأثر به تأثراً كبيراً، وهذا التأثر يلاحظه القارئ لتفسير ابن كثير، إذ لا يكاد القارئ يمر على صفحة من صفحات تفسير ابن كثير دون أن يجد تأثراً بتفسير ابن جرير الطبري.

واستفاد الحافظ ابن كثير من الإمام ابن جرير في جوانب كثيرة، فقد كان ينقل عنه الأحاديث الكثيرة المتعلقة بتفسير بعض الآيات، ونظراً لما يتمتع به ابن كثير من معرفة لعلوم الحديث، فإنه يقف من بعض هذه الأحاديث موقف الناقد البصير، فيستدرك أحياناً على ابن جرير في حكمه على بعض الأحاديث، وأحياناً يتفق معه في ذلك، وكذلك ينقل عن ابن جرير الكثير من الآثار، إلا أنه لا يعلق عليها كما هو الحال مع الأحاديث، وهذا هو دأب كثير من العلماء فإنهم قد يتساهلون في رواية الآثار، أما الأحاديث النبوية فغالباً ما يحكمون عليها ويبينون درجتها.

ومن الجوانب أيضاً التي استفادها ابن كثير من ابن جرير اللغة وشواهدها الشعرية، والقراءات، وأسباب النزول والفقه، واستنباط الأحكام وينقل عنه أحياناً بعض الأخبار الإسرائيلية و مع ذلك فهو غالباً ما يتعقبها ويبين الموقف الصحيح منها كذلك نجد ابن كثير ينقل عن ابن جرير تفسيره القرآن بالقرآن، وتفسيره لبعض الآيات، ويبين ترجيح واختيار ابن جرير لمعنى الآية من بين الأقوال التي يوردها.

وابن كثير مع استفادته من ابن جرير، إلا أن له شخصيته العلمية المتميزة، فهو يوافق ابن جرير فيما ذهب إليه في الغالب، وقد يخالفه ويستدرك عليه في بعض الأحيان، شأنه في ذلك شأن العلماء الراسخين الذين لا تمنعهم استفادتهم من بعضهم أن يستدرك

بعضهم على بعض ما يرون أنهم جانبوا فيه الصواب، ورائدهم في ذلك الدليل والحجة من الكتاب والسنة.

وسأتتبع في هذه الدراسة كل الاستدراكات التي صرح فيها ابن كثير بتعقبه لابن جرير في تفسير سورة البقرة، حيث سأبين أن ابن كثير وافق ابن جرير الطبري في بعض اختياراته، وأضرب لذلك عدداً من الأمثلة التي أيد ابن كثير ابن جرير فيها، ثم بعد ذلك أذكر استدراكات ابن كثير على ابن جرير في سورة البقرة، فأبدأ بذكر قول ابن جرير في الآية وأختصره إن كان طويلاً، ثم أذكر استدراك ابن كثير لقول ابن جرير وحجة ابن كثير في ذلك، وأبين من وافق ابن كثير ممن سبقه أو جاء بعده من المفسرين على هذا القول، ثم أختم بما يظهر لي أنه الراجح بعد ذلك.

هذا وأسأل الله أن ينفع بهذا البحث ويحسن القصد والله الموفق، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

من المعلوم أن ابن كثير وافق ابن جرير في كثير من اختياراته ومن الأمثلة على موافقته في سورة البقرة التي هي موضوع الدراسة ما يلي :

١ - في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[1] ذكر ابن كثير الأقوال في المقصود بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ لَا

(١) الآية (١١٣) من سورة البقرة.

﴿ يَعْلَمُونَ ﴾. ثم قال: واختار أبو جعفر بن جرير أنها عامة تصلح للجميع، وليس ثم دليل قاطع يعين واحداً من هذه الأقوال، والحمل على الجميع أولى والله أعلم [٢].

٢ - في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ .....الآية ﴾[٣].

قال ابن كثير: قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي ابن كعب ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ قال: هو قول الله تعالى، وهذا قول مجاهد وعكرمة، وهو الذي صوبه ابن جرير رحمه الله تعالى، ثم ذكر ابن جرير القول الآخر، وهو أنه من تمام دعاء إبراهيم وضعّف - أي ابن جرير - هذا القول[٤].

٣ - في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[٥] الآية.

نقل ابن كثير الأقوال في المعني بهذه الآية من تفسير ابن جرير ثم قال: واختار ابن جرير في ذلك مذهب الشافعي أنهم أهل الحرم، ومن كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة، لأن من كان كذلك يعد حاضراً لا مسافراً، والله أعلم[٦].

---

(٢) تفسير ابن كثير ١/١٤٨ ، جامع البيان ١/٤٩٧

(٣) الآية (١٢٦) من سورة البقرة.

(٤) تفسير ابن كثير ١/١٦٦ ، جامع البيان ١/٥٤٥ .

(٥) الآية (١٩٦) من البقرة.

(٦) تفسير ابن كثير ١/٢٢٣ ، جامع البيان ٢/٢٥٦ .

قلت: ويبدو أن ابن كثير رجح ما اختاره ابن جرير، لأنه لم يتعقبه بشيء والله أعلم.

٤ - في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ... الآية ﴾ [٧].

لقد وافق ابن كثير ابن جرير في اختياره أن أشهر الحج هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، حيث قال ابن كثير: واختار هذا القول ابن جرير، قال: وصح إطلاق الجمع على شهرين وبعض الثالث للتغليب [٨] إلى غير ذلك من الأمثلة.

أما المواضع التفسيرية التي استدرك فيها ابن كثير على ابن جرير في سورة البقرة مع المناقشة، وبيان الراجح قدر الإمكان فهي ما يلي: -

١ - ذكر ابن جرير رحمه الله تعالى أقوالاً كثيرة في معنى الحروف الهجائية التي أفتتحت بها سورة البقرة، وبعض السور، والأقوال التي ذكرها هي:

- أن (ألم): اسم من أسماء القرآن.
- أنها اسم للسورة.
- أنها فواتح يفتح الله بها القرآن.
- أنها اسم الله الأعظم.
- أنها قسم أقسم الله به، وهي من أسمائه.
- أنها حروف مقطعة من أسماء وأفعال، كل حرف من ذلك لمعنى غير معنى الحرف الآخر، ومنهم من قال هي حروف يشتمل كل حرف منها على معان شتى مختلفة.
- حروف من حساب الجمل.
- لكل كتاب سر، وسر القرآن فواتحه.

---

(٧) الآية (١٩٧) من سورة البقرة.

(٨) تفسير ابن كثير ١/٢٢٤، جامع البيان ٢/٢٦٠.

- قال بعض أهل العربية هي حروف من حروف المعجم، استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها، التي هي تتمة الثمانية والعشرين حرفاً.

- وقال بعضهم هو حروف يستفتح الله بها كلامه، ليعلم أن السورة التي قبلها قد انقضت، وأنه قد أخذ في أخرى.

ثم شرع بعد ذلك يوجه كل قول من هذه الأقوال، إلى أن قال: «والصواب في تأويل ذلك عندي أن كل حرف منه يحوي ما قاله الربيع [٩]، وما قاله سائر المفسرين غيره فيه، سوى ما ذكرت من القول عمن ذكرت عنه من أهل العربية، أنه كان يوجه تأويل ذلك إلى أنها حروف هجاء استغنى بذكر ما ذكر منها في مفاتح السور عن ذكر تتمة الثمانية والعشرين حرفاً من حروف المعجم، ثم بين فساد هذا القول لأهل العربية، لخروجه عن أقوال جميع الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين من أهل التفسير والتأويل، ثم قال— أي ابن جرير — فإن قال لنا قائل! وكيف يجوز أن يكون حرف واحد شاملاً الدلالة على معان كثيرة مختلفة؟ قيل كما جاز أن تكون كلمة واحدة تشتمل على معان كثيرة مختلفة، كقولهم للجماعة من الناس أمة، وللحين من الزمان أمة، وللرجل المتعبد المطيع لله أمة، وللدين والملة أمة، وكقولهم للجزاء والقصاص دين، وللسلطان والطاعة دين، وللتذلل دين، وللحساب دين، في أشباه لذلك كثيرة، يطول الكتاب بإحصائها، مما يكون من الكلام بلفظ واحد، وهو مشتمل على معان كثيرة، كذلك قول الله جل ثناؤه: الم، والمر، والمص» وما أشبه ذلك من حروف المعجم التي هي فواتح أوائل السور، كل حرف منها دال على معان شتى ... الخ »[١٠]، وقد تعقبه ابن كثير بقوله: « ولفظة الأمة وما أشبهها من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح، إنما دل في القرآن

---

(٩) وهو قوله أن كل حرف منها يشتمل على معان شتى مختلفة، جامع البيان ١/٨٨.

(١٠) جامع البيان ١/٨٧ – ٩٤ باختصار وتصرف.

في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام، فأما حمله على مجموع محامله إذا أمكن فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول، ليس هذا موضع البحث فيها، والله أعلم. ثم إن لفظة الأمة تدل على كل من معانيها في سياق الكلام بدلالة الوضع، فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر من غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التقدير أو الإضمار بوضع ولا بغيره، فهذا مما لا يفهم إلا بتوقيف.

ثم بين بعد ذلك ابن كثير أن هذه الحروف لها معنى، وقال: فإن صح لنا فيها شيء عن المعصوم قلنا به، وإلا وقفنا حيث وُقِفْنا، وقلنا: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [١١]. وقال أيضاً: إنه لم يجمع العلماء فيها على شيء معين وإنما اختلفوا، فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه وإلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام. ثم ذكر بعض الأقوال نقلاً عن ابن جرير في الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف، فذكر أن بعضهم قال: إنها ذكرت للفصل بين السور، وبعضم قال: ذكرت لتفتح أسماع المشركين، وقد ضعف ابن كثير هذين القولين، ثم ذكر القول الذي يظهر أنه يذهب إليه، حيث قال: وقال آخرون : بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره [١٢]، عن المبرد، وجمع من المحققين، وحكى القرطبي [١٣] عن الفراء ، وقطرب نحو هذا، وقرره

---

(١١) سورة آل عمران الآية " ٧ " .

(١٢) التفسير الكبير ٦/٢ وقال " « اختاره جمع عظيم من المحققين » .

(١٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥٥/١ .

الزمخشري في كشافه ونصره أتم نصر[١٤]، وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي، وحكاه لي عن ابن تيمية »[١٥].

قلت: ورجح هذا القول أيضاً من المتأخرين الطاهر بن عاشور في تفسيره[١٦]، وسيد قطب في تفسيره (في ظلال القرآن)[١٧]، ووهبة الزحيلي في تفسيره (التفسير المنير)[١٨].

والذي يظهر مما سبق أن الراجح هو ما ذهب إليه ابن كثير، وغيره من العلماء المحققين.

٢ - ذكر ابن جرير الأقوال في من عنى الله تعالى بالآيات الأربع من أول سورة البقرة، والأقوال هي :

الأول : أن الآيتين الأوليين ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[١٩] عنى الله بهما مؤمني العرب خاصة، والآيتان بعد ذلك عنى الله بهما المؤمنين من أهل الكتاب.

الثاني : أن هذه الآيات الأربع نزلت في مؤمني أهل الكتاب.

---

(١٤) الكشاف ١/١٦ .

(١٥) تفسير ابن كثير ١/٣٥ ، ٣٦ باختصار.

(١٦) التحرير والتنوير ١/٢١٦.

(١٧) في ظلال القرآن ١/٣٨ .

(١٨) التفسير المنير ١/٧٣ .

(١٩) الآيتان (٢ ، ٣) من سورة البقرة .

الثالث : أن الآيات الأربع من أول السورة أنزلت على محمد ﷺ بوصف جميع المؤمنين الذين ذلك صفتهم من العرب والعجم، وأهل الكتابين سواهم.

واختار ابن جرير القول الأول، وعلل اختياره ذلك بقوله: «قالوا – أي من سبق ابن جرير في ترجيح هذا القول – : فلم يكن للعرب كتاب قبل الكتاب الذي أنزله الله عز وجل على محمد ﷺ تدين بتصديقه والإقرار والعمل به، وإنما كان الكتاب لأهل الكتابين غيرهم قالوا: فلما قص الله عز وجل نبأ الذين يؤمنون بما أنزل إلى محمد وما أنزل من قبله بعد اقتصاصه نبأ المؤمنين بالغيب علمنا أن كل صنف منهم غير الصنف الآخر، وكذلك ذكر سبباً آخر لاختياره بقوله: ومما يدل أيضاً مع ذلك على صحة هذا القول أنه جنّس – بعد وصف المؤمنين بالصفتين اللتين وصف، وبعد تصنيفه كل صنف منهما – الكفار جنسين، فجعل أحدهما مطبوعاً على قلبه، مختوماً عليه، ميؤوساً من إيمانه، والآخر منافقاً يرائي بإظهار الإيمان في الظاهر، ويستسر النفاق في الباطن، فصيّر الكفار جنسين، كما صيّر المؤمنين في أول السورة جنسين »[٢٠].

وقد تعقبه ابن كثير بقوله: «قلت والظاهر قول مجاهد: (أربع آيات من أول سورة البقرة في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاثة عشر في المنافقين)[٢١] فهذه الآيات الأربع عامات في كل مؤمن اتصف بها من عربي وعجمي وكتابي من إنسي وجني وليس تصح واحدة من هذه الصفات بدون الأخرى، بل كل واحدة مستلزمة للأخرى وشرط معها، فلا يصح الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة والزكاة إلا مع الإيمان بما جاء بها الرسول ﷺ، وما جاء به من قبله من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والإيقان بالآخرة، كما أن هذا لا يصح إلا بذاك، وقد أمر الله المؤمنين بذلك كما

---

(٢٠) انظر جامع البيان ١/١٠٢ ، ١٠٣ باختصار.

(٢١) رواه ابن جرير، انظر جامع البيان ١/١٠٣.

قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[٢٢]. وقال تعالى ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[٢٣] وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾[٢٤]. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أمر جميع المؤمنين بالإيمان بالله ورسله وكتبه »[٢٥]. قلت: وما قاله ابن كثير هو الصحيح، وذلك لما ذكر من الآيات الآمرة بالإيمان بجميع رسل الله تعالى وكتبه، دون تفريق بينها في الإيمان، وتكون الواو في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ

---

(٢٢) سورة النساء، الآية " ١٣٦ ".

(٢٣) سورة العنكبوت، الآية " ٤٦ ".

(٢٤) سورة النساء، الآية " ٤٧ ".

(٢٥) تفسير ابن كثير ١/ ٤٢ بتصرف يسير.

﴿ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[٢٦] عاطفة للصفات بعضها على بعض والموصوف واحد كما ذكر ذلك ابن كثير[٢٧].

٣ - في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[٢٨].

ذهب ابن جرير إلى أن هذا المثل ضُرب للمنافقين الذين وصف الله صفتهم، وقص قصصهم من لدن ابتدأ بذكرهم بقوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾[٢٩] « ورد على من قال أن هذا المثل لمن آمن إيماناً صحيحاً، ثم أعلن بالكفر، لأنه لا يحصل بذلك خداع ولا استهزاء، ولا نفاق، لأن القوم لم تكن لهم إلا حالتان: حال إيمان ظاهر، وحال كفر ظاهر فقد سقط عنهم اسم النفاق إلا أن يكونوا قد انتقلوا من إيمانهم الذي كانوا عليه إلى الكفر الذي هو نفاق، وهو يحتاج إلى دليل أو معاني موجبة لذلك، ويكون المعنى على ما ذهب إليه ابن جرير، مثل استضاءة المنافقين بما أظهروا بألسنتهم من الإيمان والإقرار حتى عوملوا معاملة المسلمين، وحقنت دماؤهم وأموالهم، وغير ذلك، مثلهم كمثل استضاءة الموقد النار بالنار قد ارتفق بضيائها وأبصر ما حوله ثم خمدت النار وانطفأت، وهكذا المنافق إذا مات وانتقل من هذه الدنيا ظن أن خداعه ونفاقه ينفعه في الآخرة، كما كان الحال في الدنيا، فإذا الأمر على خلاف

---

(٢٦) سورة البقرة الآية " ٤ ".

(٢٧) تفسير ابن كثير ١/ ٤٢.

(٢٨) سورة البقرة ، الآية " ١٧ ".

(٢٩) سورة البقرة الآية (٨).

ذلك، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾[٣٠].

وقد ذهب ابن جرير إلى أن المثل الناري السابق والمثل المائي في قوله تعالى:﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾[٣١] كلاهما مضروبان لصنف واحد من المنافقين[٣٢].

قال ابن كثير :« وزعم ابن جرير أن المضروب لهم المثل هاهنا لم يؤمنوا في وقت من الأوقات، واحتج بقوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾[٣٣].

والصواب أن هذا إخبار عنهم في حال نفاقهم وكفرهم، وهذا لا ينفي أنه كان حصل لهم إيمان قبل ذلك، ثم سلبوه وطبع على قلوبهم، ولم يستحضر ابن جرير هذه الآية ها هنا، وهي قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ

---

(٣٠) سورة الحديد الآية " ١٣ " .

(٣١) سورة البقرة الآية " ١٩" .

(٣٢) جامع البيان ١/١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٩ بتصرف واختصار.

(٣٣) سورة البقرة ، الآية " ٨ " .

قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [٣٤] فلهذا وجه هذا المثل بأنهم استضاؤا بما أظهروه من كلمة الإيمان أي في الدنيا ثم أعقبهم ظلمات يوم القيامة» [٣٥].

ويرى ابن كثير أن المثلين مضروبان لصنفين من المنافقين، ويعلل ذلك بأن المنافقين أصناف، ولهم أحوال، وصفات، كما بين ذلك تعالى في سورة براءة بقوله (ومنهم، ومنهم، ومنهم). فيرى أن المثل الناري الأول مضروب للمنافقين نفاقاً اعتقادياً، والمثل المائي الثاني مضروب لمن فيه شعبة النفاق [٣٦].

وقد ذهب القرطبي إلى ما ذهب إليه ابن جرير من أن المنافقين أظهروا الإيمان لتثبت لهم بذلك أحكام المسلمين من النكاح والتوارث والغنائم والأمن على أنفسهم وأولادهم، وغير ذلك، ثم يصيرون بعد الموت إلى العذاب الأليم، وذهب أيضاً إلى أن المثلين مضروبان لصنف واحد من المنافقين كما قال ذلك الطبري [٣٧]، وكذلك ذهب إلى ذلك البغوي [٣٨]، والرازي [٣٩]، وابن سعدي [٤٠].

ومما يؤيد ابن كثير فيما ذهب إليه ما قاله عبد القادر شيبة الحمد في تفسيره حيث قال: « والواقع أن المنافقين لم يكونوا على وتيرة واحدة، فبعضهم لاحت لهم أنوار الإسلام فآمنوا ثم ذهب الله بنورهم فكفروا، فطبع الله على قلوبهم، وفي هذا الصنف

---

(٣٤) سورة المنافقون، الآية " ٣ " .

(٣٥) تفسير ابن كثير ١/ ٥١ .

(٣٦) تفسير ابن كثير ١/ ٥٣ ، ٥٥ باختصار.

(٣٧) الجامع الأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٢١٣ ، ٢١٥ .

(٣٨) تفسير البغوي ١/ ٦٨ ، ٦٩ .

(٣٩) مفاتيح الغيب ٢/ ٧٣ ، ٧٧ .

(٤٠) تفسير ابن سعدي ١/ ٥٥ ، ٥٦ .

من المنافقين يقول الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[٤١]. وبعض المنافقين لحقارة نفوسهم كانوا يحرصون على التظاهر بالإسلام لمجرد الحصول على بعض الصدقات فإن أعطوا منها فرحوا ومالوا نحو الإسلام وإذا لم يعطوا امتلأت قلوبهم غلاً وحقداً وسخطاً، وفي هذا الصنف من المنافقين يقول تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾[٤٢]، وبعض المنافقين عندما أعلن إسلامه لم يكن موقناً به، بل كان متردداً شاكاً قد يرى بصيصاً من نور يتسرب إلى قلبه لا يلبث أن يذهب عنه ويزول، ويُغَلِّفَ قلبه الظلام الدامس، وقد ضرب الله تبارك وتعالى في هذا المقام من سورة البقرة مثلين للمنافقين أحدهما ناري والآخر مائي يقرران صفة المنافقين على أكمل وجه وأوضحه[٤٣].

قلت: ويتضح مما سبق أن الإشكال في أن المضروب لهم المثلان هل كانوا مؤمنين أولاً ثم كفروا، كما ذكر ذلك ابن كثير أو أنهم لم يؤمنوا أصلاً كما ذكر ذلك الطبري، إن هذا الإشكال يزول إذا عرف أن المنافقين لهم أحوال وأوصاف كما سبق.

وكذلك القول بأن المثلين هما لصنفين من المنافقين، كما بين ذلك ابن كثير[٤٤] له وجه، لأنه كما سبق أن المنافقين لهم أحوال وأوصاف فبعضهم نفاقه اعتقادي وبعضهم نفاقه عملي.

---

(٤١) سورة المنافقون الآية "٣".

(٤٢) سورة التوبة الآية "٥٨".

(٤٣) تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل ١/٤٩، ٥٠.

(٤٤) تفسير ابن كثير ١/٥٣ — ٥٥.

٤ - في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[٤٥].

اختار ابن جرير أن الله علم آدم أسماء الملائكة، وأسماء الذرية، لأنه قال: ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾، « لأن العرب لا تكاد تكني بالهاء والميم إلا عن أسماء بني آدم والملائكة »[٤٦].

وقد تعقبه ابن كثير بقوله: « وهذا الذي رجح به ليس بلازم، فإنه لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب، كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ ﴾[٤٧]".

إلى أن قال: والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها ذواتها وصفاتها وأفعالها»[٤٨].

قلت: والذي قاله ابن كثير هو الصحيح، كما رجح ذلك أيضاً القرطبي[٤٩]،

---

(٤٥) سورة البقرة الآية (٣١).
(٤٦) جامع البيان ١/٢١٦ .
(٤٧) سورة النور الآية " ٤٥ " .
(٤٨) تفسير ابن كثير ١/٧٠ .
(٤٩) الجامع لأحكام القرآن ١/٢٨٢ .

والرازي [٥٠] ، والبغوي [٥١] ، والزمخشري [٥٢] ، وغيرهم.

٥ - في قوله تعالى: ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ [٥٣].

رجح ابن جرير أن الضمير في قوله تعالى ﴿ بِهِۦ ﴾ عائد للقرآن، وقال: « لأن المأمور بالإيمان به في أول الآية هو القرآن، فكذلك الواجب أن يكون المنهي عن الكفر به في آخرها هو القرآن » [٥٤] ، وذكر ابن جرير قبل ذلك أقوالاً منها أن الضمير يعود على محمد [٥٥] . قال ابن كثير بعد أن ذكر القولين وذكر اختيار ابن جرير، بأن الضمير يعود على القرآن، قال : « وكلا القولين صحيح، لأنهما متلازمان، لأن من كفر بالقرآن فقد كفر بمحمد ﷺ ، ومن كفر بمحمد ﷺ فقد كفر بالقرآن » [٥٦]. قلت: وإن كان ما قاله ابن كثير صحيحاً إلا أن اختيار ابن جرير أصح وأدق؛ لأن الأصل في الضمير أن يعود على أقرب مذكور، ولأن القرآن هو المتحدث عنه في الآية والله أعلم .

٦ - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا

---

(٥٠) مفاتيح الغيب ١٧٦/٢ ، ١٧٧ .
(٥١) تفسير البغوي ٨٠/١ .
(٥٢) الكشاف ٦٢/١ .
(٥٣) سورة البقرة الآية " ٤١ " .
(٥٤) جامع البيان ٢٥٣/١ .
(٥٥) جامع البيان ٢٥٢/١ .
(٥٦) تفسير ابن كثير ٨٠/١ .

وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ (٥٧).

لقد توقف ابن جرير رحمه الله تعالى في تحديد المراد بمصر، أهي مصر المعروفة، أو المقصود أي مصر من الأمصار ، وقال :« فأولى الأقوال في ذلك عندنا والصواب أن يقال: إن موسى سأل ربه أن يعطي قومه ما سألوه من نبات الأرض على ما بينه الله عز وجل في كتابه، وهم في الأرض تائهون، فاستجاب الله لموسى دعاءه، وأمره أن يهبط بمن معه من قومه قراراً من الأرض، التي تنبت لهم ما سأل لهم من ذلك، إذ كان الذي سألوه لا تنبته إلا القرى والأمصار ، وأنه قد أعطاهم ذلك إذا صاروا إليه، وجائز أن يكون ذلك القرار مصر، وجائز أن يكون الشام » (٥٨).

وقد تعقبه ابن كثير بقوله :« وهذا الذي قاله (ابن جرير) فيه نظر، والحق أن المراد: مصر من الأمصار ، كما روى عن ابن عباس وغيره ، والمعنى على ذلك، لأن موسى عليه السلام يقول لهم: هذا الذي سألتم ليس بأمر عزيز، بل هو كثير في أي بلد دخلتموها وجدتموه، فليس يساوي مع دناءته وكثرته في الأمصار أن أسأل الله فيه» (٥٩)

---

(٥٧) سورة البقرة الآية " ٦١ " .

(٥٨) جامع البيان ١/٣١٤، ٣١٥ .

(٥٩) تفسير ابن كثير ١/٩٧ .

وقد قال الطبري: «وأما الذي لم ينون مصر فإنه لا شك أنه عنى مصر التي تعرف بهذا الاسم بعينها دون سائر البلدان غيرها »[٦٠].

قلت: وعدم تنوين « مصر » قراءة شاذة[٦١] وهذا يدل على ضعف القول القائل بأن المراد مصر المعروفة، وقد رجح هذا القول ـ الذي رجحه ابن كثير ـ البغوي[٦٢] واقتصر عليه ابن القيم[٦٣] وابن سعدي[٦٤] وابن عثيمين[٦٥].

٧ - وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[٦٦].

في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ قال ابن جرير: «أي قاربوا أن يدعوا ذبحها، ويتركوا فرض الله عليهم في ذلك، ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله كادوا أن يضيعوا فرض الله عليهم في ذبح ما أمرهم بذبحه من ذلك، فقال بعضهم: ذلك السبب كان غلاء ثمن البقرة التي أمروا بذبحها، وبينت لهم صفتها، وقال

---

(٦٠) جامع البيان ١/٣١٤، ٣١٥.

(٦١) القراءات الشاذة لابن خالويه ص٦ ونسبها للأعمش، وانظر إتحاف فضلاء البشر ص « ١٣٧ » ونسبها لأبي بن كعب وابن مسعود.

(٦٢) تفسير البغوي ١/١٠١.

(٦٣) الضوء المنير على التفسير ١/٢١٢.

(٦٤) تفسير ابن سعدي ١/٩٠.

(٦٥) أحكام من القرآن الكريم " الفاتحة والبقرة " ص " ٢٤٥ "

(٦٦) سورة البقرة الآية (٧١).

آخرون: لم يكادوا أن يفعلوا ذلك خوف الفضيحة إن أطلع الله على قاتل القتيل الذين اختصموا فيه إلى موسى، ثم ذكر بعد ذلك: أن الصواب أن القوم لم يكادوا يفعلون ما أمرهم الله به من ذبح البقرة للأمرين جميعاً، لغلاء ثمنها، ولخوف الفضيحة »[٦٧]. قال ابن كثير: « وفي هذا نظر بل الصواب والله أعلم ما تقدم من رواية الضحاك عن ابن عباس »[٦٨]. أي في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ قال ابن كثير: «قال الضحاك عن ابن عباس: كادوا أن لا يفعلوا، ولم يكن ذلك الذي أرادوا، لأنهم أرادوا أن لا يذبحوها، يعني أنهم مع هذا البيان، وهذه الأسئلة والأجوبة والإيضاح، ما ذبحوها إلا بعد الجهد، وفي هذا ذم لهم، وذلك أنه لم يكن غرضهم إلا التعنت فلهذا ما كادوا يذبحونها »[٦٩]. قلت: و ما قاله ابن كثير هو الأرجح، وذلك لما ذكر الله تعالى من تعنتهم، وكثرة أسئلتهم، وتشديدهم على أنفسهم، وقد رجح ما ذهب إليه ابن كثير الشوكاني في تفسيره[٧٠]. واقتصر على هذا القول ابن سعدي[٧١] وابن عاشور[٧٢].

---

(٦٧) جامع البيان ١/٣٥٤ بتصرف يسير.

(٦٨) تفسير ابن كثير ١/١٠٧.

(٦٩) تفسير ابن كثير ١/١٠٦.

(٧٠) فتح القدير ١/١٥٥.

(٧١) تفسير السعدي ١/٩٦.

(٧٢) التحرير والتنوير ١/٥٥٧.

٨ - في قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ (٧٣)

رجح ابن جرير رحمه الله تعالى، أن المقصود بهذا الفريق من سمع كلام الله من بني إسرائيل سماع موسى إياه منه، ثم حرف ذلك، وبدل من بعد سماعه وعلمه به وفهمه إياه (٧٤).

قال ابن كثير: وقال السدي: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥)

قال: هي التوراة حرفوها، ثم قال – أي ابن كثير – «وهذا الذي ذكره السدي أعم مما ذكره ابن عباس، وابن إسحاق، وإن كان قد اختاره ابن جرير، لظاهر السياق، فإنه ليس يلزم من سماع كلام الله أن يكون منه كما سمعه الكليم موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام (٧٦)». وقد ضعف ابن عطية والقرطبي (٧٧) ما ذهب إليه ابن جرير حيث قال ابن عطية: « وفي هذا القول ضعف، ومن قال: إن السبعين سمعوا ما سمع موسى

---

(٧٣) سورة البقرة الآية "٧٥".

(٧٤) جامع البيان ١/٣٦٨.

(٧٥) سورة البقرة الآية (٧٥).

(٧٦) تفسير ابن كثير ١/١١٠.

(٧٧) الجامع لأحكام القرآن ٢/٢.

فقد أخطأ، وأذهب فضيلة موسى عليه السلام، واختصاصه بالتكليم [٧٨]» وكذا الرازي [٧٩] ذهب إلى ما ذهب إليه ابن كثير.

قلت: وما ذهب إليه ابن كثير وغيره من المفسرين هو الراجح والله أعلم، وقد استطرد ابن جرير بعد ذلك وذكر كلاماً لا يبعد عن كلام ابن كثير وبقية المفسرين، حيث قال: « وقد كان بعضهم يسمع من الله كلامه وأمره ونهيه ثم يبدله ويحرفه ويجحده، فهؤلاء الذين بين أظهركم من بقايا نسلهم أحرى أن يجحدوا ما أتيتموهم به من الحق، وهم لا يسمعونه من الله وإنما يسمعونه منكم ... الخ » [٨٠].

قلت : والذم حاصل لهم بتحريفهم لكلام الله على كلا القولين.

٩ - في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[٨١]. قال ابن جرير: «وهذه الآية مما احتج الله بها لنبيه محمد على اليهود، الذين كانوا بين ظهراني مهاجره، وفضح بها أحبارهم وعلماءهم، وذلك أن الله جل ثناؤه أمر نبيه ﷺ أن يدعوهم إلى قضية عادلة بينه وبينهم، فيما كان بينه وبينهم من الخلاف، كما أمره الله أن يدعو الفريق الآخر من النصارى، إذ خالفوه في عيسى صلوات الله عليه، وجادلوا فيه إلى فاصلة بينه وبينهم من المباهلة، وقال لفريق اليهود: إن كنتم محقين فتمنوا الموت، فإن ذلك غير ضاركم إن كنتم محقين فيما تدعون من الإيمان، وقرب المنزلة من

---

(٧٨) المحرر الوجيز ١/٢٦٧.

(٧٩) مفاتيح الغيب ٣/١٣٤.

(٨٠) جامع البيان ١/٣٦٨.

(٨١) سورة البقرة الآية " ٩٤ ".

الله، بل إن أعطيتم أمنيتكم من الموت إذا تمنيتم فإنما تصيرون إلى الراحة من تعب الدنيا ونصبها وكدر عيشها، والفوز بجوار الله في جناته، إن كان الأمر كما تزعمون من أن الدار الآخرة لكم خالصة دوننا، وإن لم تعطوها علم الناس إنكم المبطلون ونحن المحقون في دعوانا، وانكشف أمرنا وأمركم لهم، فامتنعت اليهود من إجابة النبي ﷺ إلى ذلك لعلمها أنها إن تمنت الموت هلكت، فذهبت دنياها، وصارت إلى خزي الأبد في آخرتها[٨٢] » قال ابن كثير بعد ما نقل كلام ابن جرير السابق: « وهذا الكلام منه (أي من ابن جرير) أوله حسن وآخره فيه نظر، وذلك أنه لا تظهر الحجة عليهم على هذا التأويل إذ يقال: إنه لا يلزم من كونهم يعتقدون أنهم صادقون في دعواهم، أنهم يتمنون الموت، فإنه لا ملازمة بين وجود الصلاح وتمني الموت، وكم من صالح لا يتمنى الموت بل يود أن يعمر ليزداد خيراً، وترتفع درجته في الجنة، كما جاء في الحديث « خيركم من طال عمره وحسن عمله » [٨٣] ولهم مع ذلك أن يقولوا على هذا: فها أنتم تعتقدون أيها المسلمون أنكم أصحاب الجنة، وأنتم لا تتمنون في حال الصحة الموت، فكيف تلزموننا بما لا يلزمكم؟ وهذا كله إنما نشأ من تفسير الآية على هذا المعنى، فأما على تفسير ابن عباس[٨٤]، فلا يلزم عليه شيء من ذلك، بل قيل لهم كلام نصف، إن كنتم تعتقدون أنكم أولياء الله من دون الناس، وأنكم أبناء الله وأحباؤه، وأنكم من أهل الجنة، ومن عداكم من أهل النار، فباهلوا على ذلك، وادعوا على الكاذبين منكم، أو من غيركم،

---

(٨٢) جامع البيان ١/٤٢٤ .

(٨٣) رواه الترمذي عن عبد الله بن بسر " أن أعرابياً قال يا رسول الله : من خير الناس؟ قال: من طال عمره وحسن عمله" سنن الترمذي ٤/٥٦٥ ، حديث رقم "٢٣٢٩" وصححه الألباني كما في صحيح سنن الترمذي ٢/٢٧١ ، حديث رقم "١٨٩٨" .

(٨٤) جامع البيان ١/٤٢٤ ، ٤٢٥ . حيث روى الطبري عن ابن عباس تفسيره لهذه الآية.

واعلموا أن المباهلة تستأصل الكاذب لا محالة، فلما تيقنوا ذلك وعرفوا صدقه نكلوا عن المباهلة، لما يعلمون من كذبهم، وافترائهم، وكتمانهم الحق، من صفة الرسول ﷺ، ونعته، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ويتحققونه، فعلم كل أحد باطلهم، وخزيهم، وضلالهم، وعنادهم، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة »[٨٥]. وقد رجح الرازي ما ذهب إليه الطبري، وقال: « لأنه أقرب إلى موافقة اللفظ »[٨٦] ورجح ابن القيم ما ذهب إليه ابن كثير، وقال: « إن هذا أبلغ في إقامة الحجة، وبرهان الصدق، وأسلم من أن يعارضوا رسول الله ﷺ بقولهم: فتمنوه أنتم أيضاً إن كنتم محقين أنكم من أهل الجنة»[٨٧] وكذلك اقتصر ابن سعدي[٨٨] على ما اختاره ابن كثير.

قلت: ويظهر أن ما ذهب إليه ابن كثير هو الأقرب، وذلك للحجج التي ساقها والله أعلم.

١٠ - في قوله: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ

---

(٨٥) تفسير ابن كثير ١/٢٢.

(٨٦) مفاتيح الغيب ٣/١٩٢.

(٨٧) الضوء المنير ١/٢٣٣.

(٨٨) تفسير ابن سعدي ١/١١٤.

وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (٨٩).

قال ابن جرير : « ﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ في ملك سليمان، وذلك أن العرب تضع « في » موضع « على » و « على » في موضع « في »، من ذلك قول الله جل ثناؤه ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ (٩٠)" يعني به على جذوع النخل » (٩١).

قال ابن كثير: وعداه – أي الفعل « تتلو » - بعلى لأنه تضمن « تتلو » تكذب، وقال ابن جرير « على » هاهنا بمعنى « في » أي تتلو في ملك سليمان ثم قال ابن كثير بعد ذلك: « والتضمن أحسن وأولى والله أعلم » (٩٢)، أي أحسن وأولى مما قاله ابن جرير من أن « على » بمعنى « في ».

قلت: والقول بالتضمين أولى، وهو أدل على بلاغة القرآن لأنه يدل على الفعل الملفوظ به، والفعل المضمن، أي تتلو تلاوة كذب، وقد ذهب إلى هذا القول ابن عاشور (٩٣)، ورجحه أيضاً السمين الحلبي في الدر المصون (٩٤).

---

(٨٩) سورة البقرة الآية "١٠٢".

(٩٠) سورة طه الآية "٧١".

(٩١) جامع البيان ١/٤٤٨.

(٩٢) تفسير ابن كثير ١/١٣٠.

(٩٣) التحرير والتنوير ١/٦٢٩.

(٩٤) الدر المصون ٢/٢٩.

١١ - في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ... الآية ﴾[٩٥].

قال ابن جرير: « إن « ما » بمعنى « الذي » ، وقال: إن هاروت وماروت ملكان أنزلهما الله إلى الأرض، وأذن لهما في تعليم السحر، اختباراً لعباده وامتحاناً، بعد أن بين لعباده أن ذلك مما ينهى عنه على ألسنة الرسل، وأن هاروت وماروت مطيعان في تعليم ذلك لأنهما امتثلا ما أمرا به »[٩٦]. قال ابن كثير: « وهذا الذي سلكه (أي ابن جرير) غريب جداً »[٩٧].

قلت: وما ذهب إليه الطبري رجحه البغوي[٩٨] ، ويفهم من كلام الشوكاني أنه يميل إليه[٩٩]، وذهب ابن سعدي[١٠٠] إلى ما ذهب إليه ابن جرير أيضاً، وقال ابن عثيمين في فوائد وأحكام هذه الآية : « إن الحق ما أذن الله فيه، وأمر به، ولو كان في نفسه باطلاً، فهذان الملكان نزلا إلى الأرض ليعلما الناس السحر، وتعليم السحر – كما سبق[١٠١] – كفر، لكن الله – عز وجل - أباح لهذين الملكين أن يعلما الناس من أجل هذا الامتحان الذي حصل بتعليمهما، والشيء قد يكون كفراً، وقد يكون طاعة، ولو كان واحداً من

---

(٩٥) سورة البقرة الآية " ١٠٢ " .

(٩٦) جامع البيان ١/٤٥٣ ، ٤٥٥ بتصرف.

(٩٧) تفسير ابن كثير ١/١٣١.

(٩٨) تفسير البغوي ١/١٢٩.

(٩٩) فتح القدير ١/١٨٨.

(١٠٠) تفسير ابن سعدي ١/١١٨.

(١٠١) انظر أحكام من القرآن الكريم ص(٣٧٠ -٣٧١) حيث قرر أن تعليم السحر كفر.

نوعه، وأضرب لهذا مثلين: المثل الأول السجود لغير الله كفر وشرك، وإذا سجد الإنسان لغير الله بأمر الله كان عبادة، ألم تر قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [١٠٢] فهنا نجد السجود لغير الله كان طاعة وعبادة، لأن الله أمر به، ويكون شركاً في الحالة التي لم يأمر الله به فيها.

والمثل الثاني: قتل النفس فإنه من كبائر الذنوب، ولا سيما إذا كان المقتول من أقارب القاتل، ومع ذلك كان طاعة يمدح عليه، وذلك في قصة إبراهيم مع ابنه إسماعيل إلى أن قال: فالملكان اللذان نزلا يعلمان الناس السحر، نزلا بأمر الله، وبإذن الله، فكان تعليمهما للسحر طاعة لله – عز وجل – ، لكنه باعتبار المُعلِّم كفر، ولهذا قال: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [١٠٣] » [١٠٤].

وواضح من كلام ابن عثيمين أنه يؤيد ما ذهب إليه الطبري، قلت: ويظهر أن ما اختاره ابن جرير ومن وافقه من العلماء هو الراجح والله أعلم.

١٢ - في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ

---

(١٠٢) سورة البقرة الآية "٣٤".

(١٠٣) سورة البقرة الآية "١٠٢".

(١٠٤) أحكام من القرآن الكريم ص "٣٧١، ٣٧٢".

إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ (١٠٥).

ذكر ابن جرير الأقوال في الذي عنى الله تعالى في قوله: ﴿ **ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها** ﴾ الآية"، فقال: « قيل هم النصارى، والمسجد بيت المقدس، وقال آخرون: هو بختنصر وجنده ومن أعانهم من النصارى، والمسجد مسجد بيت المقدس، وقال آخرون: هم مشركو قريش، إذ منعوا رسول الله ﷺ من المسجد الحرام، ثم رجح بعد ذلك أنهم النصارى، لأنهم سعوا في خراب بيت المقدس وأعانوا بختنصر على ذلك، ومنعوا مؤمني بني إسرائيل من الصلاة فيه بعد منصرف بختنصر عنهم إلى بلاده، واحتج لذلك بدلالة سياق الآيات وأن ما قبل هذه الآيات حديث عن اليهود والنصارى، وما بعدها حديث عن النصارى، وكذلك احتج بأن المشركين لم يسعوا في تخريب البيت الحرام، بل كانوا يفخرون بعمارته »(١٠٦).

أما ابن كثير فقد ذكر اختيار ابن جرير ثم رجح القول بأن المقصود مشركو قريش، وصدهم النبي ﷺ والمسلمين عن المسجد الحرام، وقال إن النصارى إذا منعت اليهود الصلاة في بيت المقدس، كان دينهم أقوم من دين اليهود، وكانوا أقرب منهم، ولم يكن ذكر الله من اليهود مقبولاً إذ ذاك، لأنهم لعنوا من قبل ﴿**على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**﴾ (١٠٧). وقال أيضاً: فإنه تعالى لما وجه الذم في حق اليهود والنصارى، شرع في ذم المشركين الذين أخرجوا الرسول ﷺ وأصحابه من مكة،

---

(١٠٥) سورة البقرة الآية " ١١٤ " .

(١٠٦) جامع البيان ١/ ٤٩٨ ، ٤٩٩ بتصرف باختصار.

(١٠٧) سورة المائدة الآية " ٧٨ " .

ومنعوهم من الصلاة في المسجد الحرام، وقال: وأما اعتماده (أي ابن جرير) على أن قريشاً لم تسع في خراب الكعبة فأي خراب أعظم مما فعلوا؟ أخرجوا عنها رسول الله ﷺ وأصحابه، واستحوذوا عليها بأصنامهم وأندادهم وشركهم، إلى أن قال فأي خراب لها أعظم من ذلك، وليس المراد من عمارتها زخرفتها وإقامة صورتها فقط، إنما عمارتها بذكر الله فيها، وإقامة شرعه فيها، ورفعها عن الدنس والشرك [١٠٨].

وذهب ابن عاشور [١٠٩] إلى ما ذهب إليه ابن كثير. قلت: والراجح أن الآية عامة لكل من منع من كل مسجد إلى يوم القيامة، لأن اللفظ عام، وورد بصيغة الجمع، كما ذكر ذلك القرطبي[١١٠]. وقال ابن سعدي: «وهذا عام لكل من اتصف بهذه الصفة، فيدخل في ذلك أصحاب الفيل وقريش حين صدوا رسول الله ﷺ عنها عام الحديبية، والنصارى حين خربوا بيت المقدس، وغيرهم من أنواع الظلمة الساعين في خرابها، محادة لله ومشاقة»[١١١].

قلت: وهذا هو الصحيح فإن القول بالعموم تدخل فيه الأقوال الأخرى والله أعلم.

١٣ - في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾[١١٢].

---

(١٠٨) انظر: تفسير ابن كثير ١/١٤٩ بتصرف واختصار.

(١٠٩) التحرير والتنوير ١/٦٧٩ .

(١١٠) الجامع لأحكام القرآن ٢/٧٧ .

(١١١) تفسير ابن سعدي ١/١٢٧ .

(١١٢) سورة البقرة الآية " ١١٥ "

قال ابن جرير: « وقال آخرون: بل أنزل الله هذه الآية قبل أن يفرض على نبيه ﷺ، وعلى المؤمنين به التوجه شطر المسجد الحرام، وإنما أنزلها عليه معلماً نبيه ﷺ بذلك، وأصحابه أن لهم التوجه بوجوههم للصلاة حيث شاؤوا من نواحي المشرق والمغرب، لأنهم لا يوجهون وجوههم وجهاً من ذلك وناحيةً إلا كان جل ثناؤه في ذلك الوجه، وتلك الناحية، لأن له المشارق والمغارب، وأنه لا يخلو منه مكان كما قال جل وعز: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [١١٣] قال: ثم نسخ ذلك بالفرض الذي فرض عليهم في التوجه شطر المسجد الحرام »[١١٤].

وقد تعقبه ابن كثير بقوله: « وفي قوله (وأنه تعالى لا يخلو منه مكان) إن أراد علمه تعالى فصحيح، فإن علمه تعالى محيط بجميع المعلومات، وأما ذاته تعالى فلا تكون محصورة في شيء من خلقه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً »[١١٥].

قلت: بل أراد ابن جرير رحمه الله تعالى أنه لا يخلو مكان من علمه تعالى، لأنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ الآية.

قال: «وعنى بقوله: ﴿ هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ بمعنى أنه مشاهدهم بعلمه وهو على عرشه»[١١٦]. قلت: وبهذا يزول اللبس الذي أورده ابن كثير رحمه الله تعالى حول ابن

---

(١١٣) سورة المجادلة الآية " ٧ ".

(١١٤) جامع البيان ١/٥٠٢.

(١١٥) تفسير ابن كثير ١/١٥٠ .

(١١٦) جامع البيان ٢٨/١٢ .

جرير، بعد حمل ما أشكل من كلامه على ما هو واضح بيّن من تفسيره لآية سورة المجادلة، والله أعلم.

١٤ - في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾[١١٧].

قال ابن جرير: « اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ ﴾ ثم ذكر الأقوال بقوله: فقال بعضهم: عنى بذلك النصارى، وقال آخرون: بل عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا في زمن النبي ﷺ، وقال آخرون: بل عنى بذلك مشركي العرب، ثم اختار ابن جرير بعد ذلك أن المعني بذلك هم النصارى دون غيرهم، لأن ذلك في سياق خبر الله عنهم، وعن افترائهم عليه، وادعائهم له ولداً، ورد على من قال بأن المقصود العرب، بأنه لا دليل معه ولا حجة»[١١٨]. قال ابن كثير: « وفي ذلك نظر وحكى القرطبي ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ ﴾ أي يخاطبنا بنبوتك يا محمد.»[١١٩]

قلت: «وهو ظاهر السياق والله أعلم ». ثم قال أيضاً ابن كثير: ويؤيد هذا القول، وأن القائلين ذلك هم مشركو العرب قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن

---

(١١٧) سورة البقرة الآية " ١١٨ ".

(١١٨) جامع البيان ١/٥١٢، ٥١٣ باختصار.

(١١٩) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/٩٢ بمعناه.

نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾[١٢٠] وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾[١٢١] إلى قوله: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[١٢٢]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على كفر مشركي العرب، وعتوهم، وعنادهم، و سؤالهم ما لا حاجة لهم به، إنما هو الكفر والمعاندة، كما قال من قبلهم من الأمم الخالية، من أهل الكتابين، وغيرهم، كما قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾[١٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[١٢٤]، وقوله

---

(١٢٠) سورة الأنعام الآية " ١٢٤ " .

(١٢١) سورة الإسراء الآية " ٩٠ " .

(١٢٢) سورة الإسراء الآية (٩٣).

(١٢٣) سورة النساء الآية " ١٥٣ " .

(١٢٤) سورة البقرة الآية " ٥٥ " .

تعالى: ﴿ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [١٢٥] أي أشبهت قلوب مشركي العرب قلوب من تقدمهم في الكفر والعنـــاد والعتو، كما قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [١٢٦] [١٢٧] وذهب ابن عاشور [١٢٨] إلى ما رجحه ابن كثير، وذكر ابن سعدي أن المعني بالآية الجهلة من أهل الكتاب وغيرهم، أي عموم الآية لكل هذه الطوائف [١٢٩]. قلت: و ما ذهب إليه ابن كثير هو الأولى لدلالة الآيات التي ذكرها على ذلك، والله أعلم.

١٥ - في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [١٣٠] قال ابن جرير: « ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ بضم التاء من تسأل، ورفع اللام منها على الخبر، بمعنى: يا محمد إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً فبلغت ما أرسلت به، وإنما عليك البلاغ، والإنذار، ولست مسئولاً عمن كفر بما أتيته به من الحق، وكان من أهل الجحيم » [١٣١]. وقد صوّب

---

(١٢٥) سورة البقرة الآية " ١١٨ ".

(١٢٦) سورة الذاريات الآيات " ٥٢ " "٥٣ ".

(١٢٧) تفسير ابن كثير ١/١٥٤ باختصار يسير.

(١٢٨) التحرير والتنوير ١/٦٨٩.

(١٢٩) تفسير ابن سعدي ١/١٣١ .

(١٣٠) سورة البقرة الآية " ١١٩ "

(١٣١) جامع البيان ١/٥١٥.

ابن جرير هذه القراءة في « تسأل » بضم التاء، ورفع اللام منها على الخبر، ورد ما عداها من القراءات. ثم قال بعد ذلك: « ولا خبر تقوم به الحجة على أن النبي ﷺ نهي عن أن يسأل في هذه الآية عن أصحاب الجحيم، ولا دلالة تدل على أن ذلك كذلك في ظاهر التنزيل » ثم قال: « إن في استحالة الشك من الرسول ﷺ في أن أهل الشرك من أهل الجحيم، وأن أبويه كانا منهم ما يدفع صحة الأخبار الواردة بشأن سؤال النبي ﷺ عن أبويه، ومصيرهما، إن صحت هذه الأخبار »[١٣٢].

قال ابن كثير: « وهذا الذي سلكه هاهنا (أي ابن جرير) فيه نظر، لاحتمال أن هذا كان في حال استغفاره لأبويه قبل أن يعلم أمرهما، فلما علم ذلك تبرأ منهما وأخبر عنهما أنهما من أهل النار »[١٣٣] ورجح الألوسي أن معنى الآية أن النبي ﷺ غير مسئول عن أصحاب الجحيم، بعد أن بُلغوا وقامت عليهم الحجة، وقال: « والذي يقطع به أن الآية في كفار أهل الكتاب كالآيات السابقة عليها، والتالية لها، لا في أبويه ﷺ»[١٣٤].

قلت: والقراءة التي ردها ابن جرير قراءة سبعية، قرأ بها نافع المدني، لا يجوز ردها، ويكون معناها: لا تسأل المغفرة لهم، أو لا تسأل عن حال أصحاب الجحيم فإنها حال شنيعة[١٣٥]، قال ابن كثير: «أي لا تسأل عن حالهم»[١٣٦] وهذا تفسيره للآية بناء على قراءة فتح التاء وجزم اللام في (ولا تسأل) وهكذا فكل قراءة من القراءات المتواترة

---

(١٣٢) جامع البيان ١/٥١٦ قلت " ولا تَسْأَلْ " بفتح التاء وجزم اللام قرأ بها نافع المدني فهي من القراءات السبع فلا ترد، انظر " كتاب السبعة في القراءات " لابن مجاهد ص " ٦٩ " .

(١٣٣) تفسير ابن كثير ١/١٥٥.

(١٣٤) روح المعاني ١/٣٧٠ ، ٣٧١ .

(١٣٥) انظر كتاب : القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والرد عليه ص " ١٧٥ " بتصرف واختصار.

(١٣٦) تفسير ابن كثير ١/١٥٤.

يمكن توجيهها، ولا يجوز ردها بأي تعليل أو قياس، وبهذا يتبين أن ما ذكره ابن كثير في استدراكه على ابن جرير يأتي في سياق توجيه القراءة التي ردها ابن جرير رحمه الله تعالى، والله أعلم.

١٦ - في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[١٣٧].

ذكر ابن جرير الأقوال في المراد بالكلمات، ثم قال: « والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله عز وجل أخبر عباده أنه اختبر إبراهيم خليله بكلمات أوحاهن إليه، وأمره أن يعمل بهن وأتمهن، كما أخبر الله جل ثناؤه عنه أنه فعل، وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ما ذكره من ذكرنا قوله في تأويل الكلمات، وجائز أن تكون بعضه، لأن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه قد كان امتحن فيما بلغنا بكل ذلك، فعمل به، وقام فيه بطاعة الله وأمره الواجب عليه فيه، وإذا كان ذلك كذلك فغير جائز لأحد أن يقول: عنى الله بالكلمات التي ابتلى بهن إبراهيم شيئاً من ذلك بعينه دون شيء، ولا عنى به كل ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر عن الرسول ﷺ، أو إجماع من الحجة[١٣٨] » . ثم قال: «ولو قال قائل في ذلك: إن الذي قاله مجاهد وأبو صالح والربيع ابن أنس أولى بالصواب من القول الذي قاله غيرهم كان مذهباً، لأن قوله ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ

---

(١٣٧) سورة البقرة الآية " ١٢٤ " .

(١٣٨) جامع البيان ١/٥٢٧ ، ٥٢٨ .

لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [١٣٩]، وقوله ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [١٤٠]، وسائر الآيات التي هي نظير ذلك كالبيان عن الكلمات التي ذكر الله أنه ابتلى بهن إبراهيم » [١٤١].

قلت: وقول مجاهد وأبي صالح والربيع بن أنس أن الكلمات هي مناسك الحج، كما روى ذلك الطبري عنهم [١٤٢].

قال ابن كثير: « والذي قاله أولاً – أي ابن جرير – من أن الكلمات تشمل جميع ما ذكر أقوى من هذا الذي جوزه من قول مجاهد ومن قال مثله، لأن السياق يعطي غير ما قالوه والله أعلم » [١٤٣].

قلت: و ما قرره ابن جرير من أنه يجوز أن يكون المراد بالكلمات جميع ما ذكر، وجائز أن يكون بعض ذلك، ولا يجوز الجزم بشيء منها أنه المراد على التعيين إلا بحجةٍ يجب التسليم لها، أي أن ابن جرير حمل الآية على الإبهام. أقول: إن ذلك هو الراجح لعدم الدليل على بيان أن الكلمات التي أبهمها الله تعالى تعني شيئاً معيناً والله أعلم.

---

(١٣٩) سورة البقرة الآية "١٢٤".

(١٤٠) سورة البقرة الآية (١٢٥).

(١٤١) جامع البيان ١/٥٢٨.

(١٤٢) جامع البيان ١/٥٢٦.

(١٤٣) تفسير ابن كثير ١/١٥٩.

١٧ - في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾[١٤٤].

روى الطبري بسنده إلى السدي أنه قال: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾. يعنيان العرب. قال الطبري: « وهذا قول يدل ظاهر الكتاب على خلافه، لأن ظاهره يدل على أنهما دعوا الله أن يجعل من ذريتهما أهل طاعته وولايته والمستجيبين لأمره، وقد كان في ولد إبراهيم العرب وغير العرب، والمستجيب لأمر الله والخاضع له بالطاعة من الفريقين، فلا وجه لقول من قال: عنى إبراهيم بدعائه ذلك فريقاً من ولده بأعيانهم دون غيرهم إلا التحكم الذي لا يعجز عنه أحد »[١٤٥].

قال ابن كثير: « وهذا الذي قاله ابن جرير لا ينفيه السدي فإن تخصيصهم بذلك لا ينفي من عداهم، والسياق إنما هو في العرب، ولهذا قال بعده: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾[١٤٦].

---

(١٤٤) سورة البقرة الآية " ١٢٨ ".

(١٤٥) جامع البيان ١/٥٥٣.

(١٤٦) سورة البقرة الآية " ١٢٩ ".

والمراد بذلك محمد ﷺ، وقد بعث فيهم، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ الآية "(١٤٧) ومع هذا لا ينفي رسالته إلى الأحمر والأسود لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾(١٤٨). وغير ذلك من الأدلة القاطعة "(١٤٩).

قلت: وما ذهب إليه الطبري هو الأقرب، وهو عموم الذرية للعرب وغير العرب، لأن تخصيصها بالعرب لا دليل عليه ولأنه لا يعدل عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه، ومع ذلك فالخلاف بين هذين الإمامين لا يترتب عليه كبير شيء، لأن نتيجة القولين واحدة حيث قال ابن كثير: «فإن تخصيصهم بذلك لا ينفي من عداهم»(١٥٠) والله أعلم.

١٨ - في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾(١٥١).

---

(١٤٧) سورة الجمعة الآية (٢).

(١٤٨) سورة الأعراف الآية " ١٥٨ ".

(١٤٩) تفسير ابن كثير ١/١٧٤.

(١٥٠) تفسير ابن كثير ١/١٧٤ .

(١٥١) سورة البقرة الآية " ١٧١ ".

ذكر ابن جرير قولين في معنى هذه الآية، أحدهما: أي مثل الكافر في قلة فهمه عن الله ما يتلى عليه في كتابه، وسوء قبوله لما يدعى إليه من توحيد الله، ويوعظ به مثل البهيمة التي تسمع الصوت إذا نعق بها، ولا تعقل ما يقال لها.

الثاني: مثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم وأوثانهم التي لا تسمع ولا تعقل، ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ (١٥٢)، ثم رجح القول الأول، حيث قال: « وأولى التأويل عندي بالآية التأويل الأول الذي قاله ابن عباس ومن وافقه عليه، وهو أن معنى الآية: ومثل وعظ الكافر وواعظه كمثل الناعق بغنمه ونعيقه فإنه يسمع نعقه ولا يعقل كلامه » (١٥٣).

قال ابن كثير بعد أن ذكر القول الأول: « وقيل: إنما هذا مثل ضرب لهم في دعائهم الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئاً، اختاره ابن جرير، والأول أولى، لأن الأصنام لا تسمع شيئاً، ولا تعقله، ولا تبصره، ولا بطش لها، ولا حياة فيها » (١٥٤). قلت: واختيار ابن جرير هو القول الأول الذي أورده ابن كثير ورجحه، أما ابن كثير رحمه الله تعالى فيحتمل أنه اعتمد على نسخة من نسخ تفسير الطبري فيها سقط في هذا الموضع والله أعلم.

١٩ - في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ

---

(١٥٢) جامع البيان ٢/٧٩، ٨٢ باختصار.

(١٥٣) جامع البيان ٢/٨٢.

(١٥٤) تفسير ابن كثير ١/١٩٤.

﴿ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ﴾ (١٥٥).

قال ابن جرير: «يعني بذلك جل ثناؤه: فإن أحصرتم فأردتم الإحلال من إحرامكم فعليكم ما استيسر من الهدي، ولا تحلوا من إحرامكم إذا أحصرتم حتى يبلغ الهدي – الذي أوجبته عليكم لإحلالكم من إحرامكم الذي أحصرتم فيه قبل تمامه، وانقضاء مشاعره، ومناسكه – محلّه، وذلك أن حلق الرأس إحلال من الإحرام الذي كان المحرم قد أوجبه على نفسه، فنهاه الله عن الإحلال من إحرامه بحلاقة، حتى يبلغ الهدي – الذي أباح الله له الإحلال بإهدائه – محله» (١٥٦).

قال ابن كثير: وقوله: ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ ﴾ معطوف على قوله: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾، وليس معطوفاً على قوله: ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾، كما زعمه ابن جرير رحمه الله، لأن النبي ﷺ وأصحابه عام الحديبية، لما حصرهم كفار قريش عن الدخول إلى الحرم حلقوا وذبحوا هديهم خارج الحرم، فأما في حال الأمن والوصول إلى الحرم، فلا يجوز الحلق (حتى يبلغ الهدي محله) ويفرغ الناسك من أفعال الحج والعمرة إن كان قارناً، أو من فعل أحدهما إن كان مفرداً،

---

(١٥٥) سورة البقرة الآية "١٩٦".

(١٥٦) جامع البيان ٢/٢٢٠.

أو متمتعاً، كما ثبت في الصحيحين[١٥٧] عن حفصة أنها قالت: يا رسول الله ما شأن الناس حلوا من العمرة، ولم تحل أنت من عمرتك؟ قال: « إني لبدت رأسي وقلدت هديي فلا أحل حتى أنحر »[١٥٨].

قال ابن عطية: وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾[١٥٩] الآية، الخطاب لجميع الأمة محصر ومخلى، ومن العلماء من يراها للمحصرين خاصة[١٦٠].

وقال الشوكاني: « هو خطاب لجميع الأمة من غير فرق بين محصر وغير محصر، وإليه ذهب جمع من أهل العلم، وذهبت طائفة إلى أنه خطاب للمحصرين خاصة، أي لا تحلوا من الإحرام حتى تعلموا أن الهدي الذي بعثتموه إلى الحرم قد بلغ محله، وهو الموضع الذي يحل فيه ذبحه »[١٦١].

وقال ابن قدامة: « أجمع أهل العلم على أن المحرم ممنوع من أخذ شعره إلا من عذر والأصل فيه قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ... ﴾

---

(١٥٧) رواه البخاري ١/١٨٥، (كتاب الحج)، باب « التمتع والإقران والإفراد بالحج » حديث رقم (١٥٦٦)، ومسلم ٢/٩٠٢ كتاب الحج باب « بيان أن القارن لا يتحلل إلا في وقت تحلل الحاج المفرد » حديث رقم (١٢٢٩).

(١٥٨) تفسير ابن كثير ١/٢٢٠.

(١٥٩) سورة البقرة الآية (١٩٦).

(١٦٠) المحرر الوجيز ٢/١١١.

(١٦١) فتح القدير ١/٣٠١.

الآية"[١٦٢] قلت: و ما ذهب إليه ابن كثير هو الراجح لأن الآية عامة للمحصر وغيره كما ذهب إلى ذلك جمع من أهل العلم، والله أعلم.

٢٠ - في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾[١٦٣].

ذكر ابن جرير رحمه الله تعالى الأقوال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَلَا فُسُوقَ ﴾ والأقوال هي: قيل المعاصي كلها، وقيل ما عصي الله به في الإحرام، مما نهي عنه فيه من قتل صيد، وأخذ شعر، وقلم ظفر، وما أشبه ذلك مما خص الله به الإحرام، وقيل: الفسوق: الذبح للأصنام، وقيل السباب، وقيل التنابز بالألقاب.

ثم قال: وأولى الأقوال التي ذكرنا بتأويل الآية في ذلك قول من قال: ﴿ وَلَا فُسُوقَ ﴾: النهي عن معصية الله في إصابة الصيد، وفعل ما نهى الله المحرم عن فعله في حال إحرامه، وعلل ذلك بقوله: « لأنه لا معنى لأن يقال فيما قد حرم الله على خلقه في كل الأحوال: لا يفعلن أحدكم في حال الإحرام ما هو حرام عليه فعله في كل حال، لأن خصوص حال الإحرام به لا وجه له، وقد عم به جميع الأحوال، من الإحلال والإحرام »[١٦٤].

---

(١٦٢) سورة البقرة الآية " ١٩٦ " ، وانظر المغني ١٤٥/٥ .

(١٦٣) سورة البقرة الآية " ١٩٧ " .

(١٦٤) جامع البيان ٢٦٨/٢ -٢٧١.

قال ابن كثير: والذين قالوا: الفسوق هاهنا جميع المعاصي، الصواب معهم، كما نهى تعالى عن الظلم في الأشهر الحرم، وإن كان في جميع السنة منهياً عنه، إلا أنه في الأشهر الحرم آكد، ولهذا قال: ﴿ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[١٦٥]، وقال في الحرم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾[١٦٦] واختار ابن جرير أن الفسوق هاهنا هو ارتكاب ما نُهي عنه في الإحرام من قتل الصيد، وحلق الشعر، وقلم الأظفار، ونحو ذلك، وما ذكرناه أولى، والله أعلم »[١٦٧].

قلت: وما ذهب إليه ابن كثير اختاره ابن عطية[١٦٨]، وابن عاشور[١٦٩]، وكذا قال ابن سعدي: « الفسوق جميع المعاصي ومنها محظورات الإحرام »[١٧٠].

---

(١٦٥) سورة التوبة الآية (٣٦).

(١٦٦) سورة الحج الآية (٢٥).

(١٦٧) تفسير ابن كثير ١/٢٢٥، ٢٢٦.

(١٦٨) المحرر الوجيز ٢/١٢٣.

(١٦٩) التحرير والتنوير ٢/٢٣٤.

(١٧٠) تفسير ابن سعدي ١/٢٤٤.

قلت : والظاهر ما ذهب إليه ابن كثير وهو القول بأن الفسوق يشمل جميع المعاصي ومنها محظورات الإحرام لأن الله تعالى نهى عن المعاصي في كل حال وزمان، والنهي عنها في الحج أشد وآكد، ويدخل في عموم المعاصي محظورات الإحرام والله أعلم.

٢١ - في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[١٧١] ذكر ابن جرير الأقوال في المراد بالكرسي، فذكر أن بعضهم قال: علم الله تعالى، ومنهم من قال: الكرسي: موضع القدمين، ومنهم من قال: هو العرش نفسه، ثم اختار أن الكرسي هو العرش، حيث قال: « ولكل قول من هذه الأقوال وجه ومذهب، غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر عن رسول الله ﷺ وهو ما حدثني به عبد الله بن أبي زياد القطواني قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن خليفة قال: أتت امرأة النبي ﷺ فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة فعظم الرب تعالى ذكره ثم قال: إن كرسيه وسع السموات والأرض، وإنه ليقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربع أصابع، ثم قال بأصابعه فجمعها، وإن له أطيطاً كأطيط الرحل الجديد، إذا ركب من ثقله »[١٧٢].

---

(١٧١) سورة البقرة الآية " ٢٥٥ " .

(١٧٢) رواه ابن جرير الطبري ، انظر جامع البيان ٩/٣، ١٠.

قال ابن كثير: « والصحيح أن الكرسي غير العرش، والعرش أكبر منه، كما دلت على ذلك الآثار، والأخبار [١٧٣]، وقد اعتمد ابن جرير على حديث عبد الله بن خليفة عن عمر في ذلك، وعندي في صحته نظر والله أعلم » [١٧٤].

وقال ابن أبي العز: وأما الكرسي، فقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [١٧٥]، وقد قيل هو العرش، والصحيح أنه غيره، نقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره [١٧٦].

ويفهم من كلام الشوكاني [١٧٧]، أنه رجح ما ذهب إليه ابن كثير.

قلت: وما رجحه ابن كثير هو المتعين والله أعلم.

الخاتمـــــة

الحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، والصلاة والسلام على خير الأنام وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد :

---

(١٧٣) انظر هذه الآثار في جامع البيان ٣/١٠، وتفسير ابن كثير ١/٢٩٢، ٢٩٣.

(١٧٤) تفسير ابن كثير ١/٢٩٣، وقال الشيخ ناصر الدين الألباني عن هذا الحديث: إسناده ضعيف، عبد الله بن خليفة لم يوثقه غير ابن حبان، انظر السنة لابن أبي عاصم ١/٣٥٢ حديث رقم (٥٧٤) بلفظ " إن عرشه فوق سبع سماوات وإن له لأطيطاً– الحديث " ورواه البزار بلفظ " إن كرسيه وسع السموات والأرض... الحديث انظر البحر الزخار ١/٤٥٧، حديث رقم (٣٢٥)، وقال المحقق: فيه عبد الله بن خليفة وهو ليس من رجال الصحيح والله أعلم.

(١٧٥) سورة البقرة، الآية " ٢٥٥ ".

(١٧٦) شرح العقيدة الطحاوية ص " ٢٨٩ ".

(١٧٧) فتح القدير ١/٤١٢.

فقد توصلت في هذا البحث إلى النتائج التالية :

١ - استفاد ابن كثير من ابن جرير الطبري، ووافقه على كثير من ترجيحاته واختياراته.

٢ - ابن كثير له شخصيته العلمية المتميزة فقد استدرك على الطبري في عدد من المواضع.

٣ - وفق ابن كثير في أغلب استدراكاته على الطبري وكان فيها أقرب إلى الصواب.

٤ - أحياناً يكون الخلاف بين هذين الإمامين من باب اختلاف التنوع في التفسير وليس من باب اختلاف التضاد.

٥ - تبين من هذا البحث حرص هذين الإمامين على سلوك منهج أهل السنة في التفسير، وعلى التفسير وفق قواعد التفسير وأصوله. والله أعلم.

المـــراجـــع

[١] الدمياطي، أحمد عبدالغني. *إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر*. صححه وعلق عليه علي محمد الضباع. بيروت: دار الندوة الجديدة، د.ت.

[٢] العثيمين، محمد بن صالح، *أحكام من القرآن الكريم « الفاتحة ، والبقرة »*. جمع عبدالكريم صالح المقرن. الرياض: دار طويق للنشر والتوزيع، د.ت.

[٣] البزار، أحمد بن عمرو. *البحر الزخار المعروف بمسند البزار*، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله. ط١. بيروت: مؤسسة علوم القرآن؛ المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٩هـ /١٩٨٨م.

[٤] البغوي، الحسين بن مسعود. *تفسير البغوي « معالم التنزيل »*. حققه وخرج أحاديثه: محمد عبدالله النمر؛ وعثمان جمعة ضميرية؛ وسليمان مسلم الحرش. ط٣. د.م: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٦/١٩٩٥م.

[٥] ابن عاشور، محمد الطاهر. *تفسير التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

[٦] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. *تفسير القرآن العظيم*. ط٥. الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

[٧] الرازي، الفخر. *التفسير الكبير*. ط٢. طهران: دار الكتب العلمية، د.ت.

[٨] الزحيلي، وهبة. *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*. ط١. بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

[٩] شيبة الحمد، عبدالقادر. *تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل*. ط١. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

[١٠] ابن سعدي، عبدالرحمن بن ناصر. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان* « ضمن المجموعة *الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي*. المملكة العربية السعودية: مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

[١١] القرطبي، محمد بن أحمد. *الجامع لأحكام القرآن*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

[١٢] الطبري، محمد بن جرير. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. حققه وعلق حواشيه محمود محمد شاكر، وراجعه وخرّج أحاديثه: أحمد محمد شاكر. مصر: دار المعارف، د.ت.

[١٣] ابن سورة، محمد بن عيسى. *الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذي*. تحقيق: إبراهيم عطوة عوض. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

[١٤] السمين الحلبي، أحمد بن يوسف. *الدُّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون*. تحقيق الدكتور: أحمد ابن محمد الخراط. ط١. دمشق: دار القلم، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

[١٥] البغدادي، الآلوسي. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

[١٦] أبو عاصم، أحمد بن عمرو. *السنة*؛ الألباني، محمد ناصر الدين. *ظلال الجنة في تخريج السنة*. ط٢. عمان: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

[١٧] ابن أبي العز. *شرح العقيدة الطحاوية*. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشير محمد عيون. ط٢. الطائف؛ بيروت: مكتبة المؤيد، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

[١٨] البخاري، محمد بن إسماعيل. *صحيح البخاري*. طبعة محققة على عدة نسخ، وعن نسخة *فتح الباري* التي حقق أصولها وأجازها الشيخ: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز. دار الفكر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

[١٩] النيسابوري، مسلم بن الحجاج. *صحيح مسلم*. تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي. مصر: مطبعة دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

[٢٠] الألباني، محمد ناصر الدين. *صحيح سنن الترمذي « باختصار السند »*. إشراف: زهير الشاويش، ط١. الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٨هـ/١٩٩٨م.

[٢١] الصالحي، علي الحمد. *الضوء المنير على التفسير*. مصر: مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالتعاون مع مكتبة دار السلام، د.ت.

[٢٢] الشوكاني، محمد بن علي. *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*. علق عليه: سعيد محمد اللحام. مكة المكرمة: المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز، د.ت.

[٢٣] قطب، سيد. *في ظلال القرآن*. ط٧. مصر: دار الشروق، ١٣٩٨هـ/١٩٨٧م.

[٢٤] ابن مجاهد. *كتاب السبعة في القراءات*. تحقيق: د. شوقي ضيف. ط٢. مصر: دار المعارف، د.ت.

[٢٥] الزمخشري، محمود بن عمر. *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. بيروت: دار المعرفة، د.ت.

[٢٦] ابن خالويه. *القراءات الشاذة*. د.م: دار الكندي، ١٩٩٦م.

[٢٧] الهرري، محمد عارف. *القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والرد عليه من أول القرآن إلى آخر سورة التوبة*. ط١. د.م: د. ن، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

[٢٨] الأندلسي، محمد عبدالحق. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق المجلس العلمي بفاس. د.م: د. ن، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

[٢٩] المقدسي، ابن قدامة. *المغني*. تحقيق: د. عبدالله عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو. ط٢. مصر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

Bin Katheer's Reservations on Al-Taharis Narrations of the Surah Al-Baqara

Saleh N. Alnaser
Assistant Professor, Department of Islamic Culture,
College of Business and Economic, King Saud University,
Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. It has become obvious from the research that Ibn Kathir provited a lot from Ibn Jarir Al-Tabari and agreed with him on a lot of his preferences and choices and it also appeared that Ibn Kathir had a distinguising sciential personality as he attached limitations on Al-Tabari in many positoins and he was nearer to the right in most of his attached limitations we find that what he thought of was preferable.

This appeared when comparing what they said with the interpretations of the others. It also appeared from his research that Al-Tabari and Ibn Kathir were two great servants of expounders who followed the Doctrine of Al-Sunnah followed the Doctrine of Al-Sunnah followers [Ahl Al-Sunnah] and party [Al-Jama'a] in their interpretations. And they interpreted the Holy Quran according to the interpretation rules and origins.

Allah, the Almighty, only knows and peace, grace of Allah and his blessings be upon our prophet Mohammed and upon all his followers.